دور القائد بن ناصر بن شهرة في ثورة الأمير محي الدين في الشرق الجزائري سنة 1871م.

د/ محمد السعيد قاصري/ كلية العلوم الاجتماعية والانسانية/ جامعة محمد بوضياف/ المسيلة

ملخص المقال باللغة العربية.

يندرج هذا المقال ضمن جوانب من تضامن وتعاون النخبة الجزائرية بلاد الشام (المهجر) مع إخوانهم في الجزائر لمواجهة الاستعمار الفرنسي، ويتعلق الأمر هنا بدور بن ناصر بن شهرة في ثورة الأمير محيي الدين في الجنوب الشرقي الجزائري سنة 1871، وهذا يعكس لنا مستوى فكري جزائري كفؤ خلال القرن 19م، والإشكال المطروح في هذا المقال يكمن في محاولة الوقوف على ملامح هذا التضامن؟، وإلى أي مدى نجح في تحقيق أهدافه؟ ما هو موقف السلطات الاستعمارية منه؟ هل نجاح أو فشل ثورة محيي الدين في الشرق الجزائري تعود إلى قوة الطرف الفرنسي أم تعود إلى كثرة معاول الهدم الداخلية؟ هذا ما سنحاول معالجته في هذا المقال.

ملخص المقال باللغة الفرنسية.

Cet article relève les aspects de la solidarité et de coopération du Levant élite algérienne (Diaspora) avec leurs frères en Algérie pour faire face à la colonisation française, et il vient ici le rôle de Ben Nasser Ben Chahra prince Muhyiddin révolution dans le sud-est de l'Algérie en 1871, et cela reflète notre niveau intellectuel d'un Algérien compétent au cours du

19ème siècle, et la confusion se pose dans cet article est d'essayer de se tenir sur les caractéristiques de cette solidarité? et dans quelle mesure a réussi à atteindre ses objectifs? Quelle est l'attitude des autorités coloniales de celui-ci? Le succès ou l'échec de la révolution Muhyiddin à l'est de l'Algérie retour à la force de la partie française, ou revenir au grand nombre de pelles de démolition internes? C'est ce que nous allons essayer d'aborder dans cet article.

مقدمة:

تُعتبر شخصية بن ناصر بن شهرة من أهم الشخصيات الجزائرية الثائرة في وجه الاستعمار الفرنسي بالجنوب الشرقي الجزائري، ومن بين ما تميزت به هذه الشخصية عن غيرها من الشخصيات الجزائرية المقاومة خلال القرن 19م، هو مَد يَد العون والمساعدة لمختلف الثورات الشعبية التي عاصرتها، وهي خصوصية لم يراع فيها الانتماء الطرقي أو الانتماء القبلي أو الجغرافي ولا حتى المستوى الاجتماعي، بقدر ما راعى فيها كيفية تحرير بلاده من الاستعمار، وهذا ما يُعبر لنا عن مستوى فكري جزائري يتميز بالفهم والشمولية، لو توفر لدى قادة المقاومات الشعبية الأخرى، لما تمكّن العدو الفرنسي من القضاء على المقاومة الشعبية في مراحلها الأولى.

ومن ملامح هذا التعاون هو مُساهماته القوية والفعالة في ثورة الشريف محمد بن عبد الله 1851، ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864، ثورة بوشوشة 1869، ثورة المقراني

والشيخ الحداد 1871، وأخيرا ثورة الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر بالشرق الجزائري، وهي الثورة التي وقع عليها اختيارنا كأنموذج لتعاون الجزائريين في مقاومة الاستعمار الفرنسي.

إن الإشكال المطروح في هذا المقال يكمن في محاولة الوقوف على علاقة بن ناصر بن شهرة بالأمير محي الدين قبل إعلان الثورة، وسرعة تفاعله مع الأمير محي الدين القادم من بلاد الشام، وعن جوانب المساهمة التي قدمها بن شهرة لمحي الدين، خاصة في ظل معرفة قبائل الجنوب الشرقي الجزائري بابن شهرة، وما هي مجالات استفادة محي الدين من تجربة بن شهرة في مقاومة الاحتلال؟ وإلى أي مدى نجح هذا النموذج من التعاون الجزائري-الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي؟ ما هو مصير كل من بن شهرة ومحي الدين بعد ثورة 1871؟؟ وهل لاستقرار بن شهرة بجانب الأمير عبد القادر بعد نفيه من تونس سنة 1875، له علاقة بهذا الموضوع؟

لقد حاولنا الإجابة عن هذه التساؤلات بالرجوع إلى بعض المرجعيات التاريخية المتخصصة التي عالجت هذا الموضوع، وللإحاطة ببعض جوانبه اعتمدنا خطة عمل تتكون من العناصر التالية:

1. التعريف بابن ناصر بن شهرة.
2. التعريف بالأمير محي الدين.
3. مسار الأمير محي الدين من دمشق إلى الجزائر والتقائه بابن ناصر بن شهرة.
4. دور بن ناصر بن شهرة في ثورة الأمير محي الدين.
5. مصير الأمير محي الدين والقائد بن شهرة بعد فشل الثورة.
6. خاتمة

1-التعريف بابن ناصر بن شهرة:

ولد سنة 1804 بقرية المخرق جنوب الأغواط[1]، عاش في كنف والده الذي كان له مكانة بين قومه، فحفظ القرآن الكريم منذ الصغر وشبّ على فنون القتال والفروسية، تعلم على يد مجموعة من المشايخ من بينهم أحمد الشاوي شيخ الطريقة القادرية، وبعد وفاة والده ارتقى عرش السيادة بدوره على قبائل الأرباع سنة1846[2].

كان يُكن منذ صغره كُرها شديدا للفرنسيين، ولذلك راح يتطلع منذ سنة 1851 إلى مقاومتهم وتحريض القبائل والأعراش الصحراوية ضدهم، وكانت أول خطوة سلكها في هذا الاتجاه هو البحث عن حلفاء أقوياء يقفون إلى جانبه، فتزوج من ابنة محمد بن عبد الله شريف ورقلة، غير أن سلطات الاحتلال لم ترتاح لنشاطاته المبكرة حيث سرعان ما ألقت عليه القبض وفرضت عليه الإقامة الجبرية بمُعسكر قرب بوغار، لكنه تمكن من الفرار من هذه الإقامة يوم 05 سبتمبر 1851.

وفي طريق عودته تكون قد لَحِقت به فرقة عسكرية تحت إمرة الملازم "كروز"، لكن بفضل حنكته وخبرته تمكن من تلقينها درسا في البطولة والشهامة بمنطقة الشهبوينة رفقة الثوار الفارين معه[3]، ومنذ ذلك الحين بات مطاردا من طرف قوات العدو الفرنسي.

وللحيلولة دون وقوعه مرة أخرى في الأسر قام بتحريك أتباعه من المعامرة، الحجاج، الحرازلية[4]، وغيرهم وأعلنها ثورة عارمة على الوجود الفرنسي بالمنطقة، فاستقر في منطقة قصر الحيران وعمل على تحصينها، في الوقت الذي راح يخطب فيه وُد بعض الزعماء والشيوخ كالشريف محمد بن لحرش، لكن دون جدوى، وفي هذه الأثناء تمكن الجيش الفرنسي من احتلال الأغواط وورقلة سنة 1853 بمساعدة سي حمزة ولد سيدي

الشيخ، مما أجبر بن شهرة على اللجوء إلى تونس حيث استقر فترة بنفطة وتوزر بمنطقة الجريد، أين تمكن من ربط علاقات جيدة مع إخوانه من اللاجئين الجزائريين بتونس، في الوقت الذي كان يقوم فيه بشن غارات على الجيش الفرنسي بالجزائر بين الحين والآخر[5].

ومع اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864 عاد إلى الجزائر ليُلقي بكل ثقله في هذه الثورة، فتوجه إلى ورقلة وانظم إلى حليفه سي الأعلى[6]، ومن ثمة بدأ في مواجهة الفرنسيين حيث وجدوا بالجنوب الجزائري الكبير، بالصحراء الجزائرية، لكن قوة العدو فرضت عليهم التريث والعودة من جديد إلى ورقلة لأسباب تنظيمية، ولكن مع حلول السنة الموالية 1865 عاد بن شهرة لنشاطه من جديد، وواصل تعبئته للجهاد، تعبئة أهلته في الوصول إلى منطقة عين صالح والتوارق، وتجنيد عدد معتبر من القبائل التي تمكن بواسطتها سنة 1859 من تهديد منطقة عين ماضي بالأغواط حيث مقر الطريقة التجانية[7]، ونظرا للتحالف الضمني القائم بين هذه الأخيرة والفرنسيين تحركت قوات فرنسية كبيرة لحمايتها وإبعاد خطر الثوار الذي بات يهددها، مما حال دون تحقيق الهدف الأساسي من حملة بن شهرة على المنطقة.

في ظل هذه الظروف اتصل الشريف بوشوشة بابن شهرة لتنسيق العمل المسلح ضد الفرنسيين، فلم يتوان في الانضمام إليه، وتقوية عضده، حيث تمكنا من إلحاق هزائم معتبرة بالجيش الفرنسي في المنطقة، وعندما اندلعت ثورة الشيخ المقراني والحداد سنة 1871 لم يتوان أيضا في مباركتها والانضمام إليها، وظل يعمل على قدم وساق حتى إلقاء القبض على المقرانيين ونفيهم من الجزائر سنة 1872.

وفي ظل اندلاع ثورة المقرانيين كان الأمير محي الدين قد أعلن عن ثورته ضد الفرنسيين بالشرق الجزائري، فكان بن شهرة نعم العضد والنصير لهذه الثورة، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا بعد أن نتعرف على جزء يسير من سيرة الأمير محي الدين، في ما يلي:

2-التعريف بالأمير محي الدين:

هو محي الدين ابن الأمير عبد القادر الجزائري، ولد في حدود سنة 1259هـ/ 1843م بالقيطنة[8]، وهو الابن الثاني لوالده[9]، تزامن مولده بسقوط الزمالة عاصمة دولة الأمير عبد القادر، وخلال هذه الفترة عاش محي الدين ظروف الحرب والأسر والنفي وضاق مرارة الغربة بعيدا عن وطنه، لكن هذا لم يمنع والده من الحرص على تعليم ابنه بل كل أبنائه، ولذلك كان أول ما حصّله محي الدين حفظه للقرآن الكريم، وهو ابن ثماني سنوات.

كما تعلم ركوب الخيل واستعمال السلاح[10]، واطلع على شتى العلوم والمعارف خاصة بعد استقراره في دمشق، حيث درس على يد شيوخها وعلماءها، مثل الشيخ الدمشقي محمد الطنطاوي الازهري[11]، كما قرأ فقه المالكية على يد الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي المغربي[12].

ومن مدينة دمشق توجه محيي الدين إلى اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية سنة 1281هـ، فأكرمه السلطان العثماني عبد العزيز، ومنحه لقب الباشا، ومن اسطنبول قام

بزيارة كل من ايطاليا وسويسرا وفرنسا، أين أكرمه نابليون ومنحه وساما، ثم عرّج على مصر في طريق عودته إلى مدينة دمشق[13].

حظي الأمير محي الدين باحترام وتقدير من السلطان العثماني عبد العزيز الذي أنعم عليه بالنيشان العثماني من الدرجة الثالثة وأسند له وظيفة أزمير القضائية سنة 1865[14]، وهكذا استمر في ممارسة نشاطه ومهامه إلى غاية سنة 1870، لكنه لم يكن راض عن هذا المنصب، وكانت نفسه تحدثه دائما بالعودة إلى وطنه الجزائر لتخليصه من يد الغزاة الفرنسيين[15]، وهذا ما سنراه في العنصر الموالي:

3-مسار الأمير محي الدين من دمشق إلى الجزائر والتقائه بابن ناصر بن شهرة:

تذكر الأميرة بديعة الحسني الجزائري بهذا الخصوص أن الأمير محي الدين كان يتحرق شوقا للعودة إلى أرض الوطن ومواصلة الكفاح المسلح[16]، ومع اندلاع الحرب البروسية الفرنسية سنة 1870، استغلها في العودة إلى أرض أجداده لرفع لواء الجهاد ضد الفرنسيين، وتحرير وطنه الجزائر حسب رواية البيطار[17].

أما يحي بوعزيز فيذكر بشأن مسار محي الدين أنه قَصْد تحقيق هذه الرغبة في الجهاد بأرض أجداده مرض أو ربما تظاهر بالمرض، فسمح له والده بالتوجه إلى الإسكندرية قصد العلاج بعد أن أشار عليه بعض الأطباء للعلاج وتغيير الجو، وكانت الحرب قد قامت بين فرنسا وبروسيا وظن أنها تطول بينهما، فخطر بباله أن ينتهز الفرصة

لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا...فحينما وصل إلى الإسكندرية توجه منها إلى تونس ولم يعلم أحد بنيته الخفية[18]، وذلك في أواخر شهر أكتوبر 1870.

وعند حلوله بالأراضي التونسية استقبلته الدوائر الرسمية التونسية بحفاوة كبيرة، فمنحه الباي التونسي محمد الصديق نيشان الافتخار التونسي يوم 18 نوفمبر[19]، وكان من بين النشاطات التي قام بها في تونس:

1. الاعتكاف على دراسة المخطوطات العربية والتعرف على الخطوط العربية.
2. تجنب الاتصال بالناس حتى لا يعرفوا وجهته، كونه كان يريد الذهاب إلى الجزائر.
3. في ظل الشهرة التي نالها من السلطات التونسية، والتي حالت دون انكشاف أمره، قام بتحرير نحو 200 رسالة لزعماء الجزائر لكي يتهيئوا لمحاربة فرنسا عند قدومه المستطاب، ثم أرسلها من تونس مع الرسل الخفية[20].

بعدما انتشر خبر وصوله إلى هذه المنطقة شددت السلطات الفرنسية من رقابتها للحدود الجزائرية التونسية، ومن غير المستبعد أنها طلبت من السلطات التونسية الرسمية طرده من أراضيها، وللخروج من هذه الزاوية الضيقة أظهر محي الدين للباشا التونسي نيته في مغادرة تونس والعودة إلى مدينة دمشق عبر مالطا، ومن هناك تنكّر في لباس درويش وتوجه إلى طرابس الغرب، ثم دخل إلى تونس حيث التقى مُجددا بابن ناصر بن شهرة بتونس وتوجها إلى منطقة وادي سوف حسب رواية يحي بوعزيز[21].

بينما يذكر بوقرين عيسى أن الأمير محي الدين بعد وصوله إلى تونس، احتج القنصل الفرنسي بتونس على قدومه إليها، فادعى بأنه مريض، وقرر العودة إلى دمشق

عن طريق مالطا، فأبحر من تونس يوم 21 نوفمبر 1870، لكنه نزل بمدينة طرابلس بعد أيام قلائل، ومنها توجه إلى توزر، ثم نفطة بالجنوب التونسي، أين التقى بإخوانه الجزائريين بالزاوية الرحمانية، وكان من بين الشخصيات التي التقى بها بن ناصر بن شهرة ومحمد بوعلاق التونسي[22].

ويقول يحي بوعزيز في موضع آخر، بعد إقامة محي الدين القصيرة في تونس غادرها بحرا إلى الشام في الظاهر يوم 21 نوفمبر، وعند وصوله إلى مالطا غيّر اتجاهه إلى طرابلس المغرب (كذا) ومن هناك إلى توزر ونفطة ونفزاوة، متخفيا في زي مغربي مع عدد من الرفاق، حتى لا تتفطن له أعين المخابرات التونسية التي أخذت تتبع أخباره وتقتفي أثاره بعد أن غيّرت نظرتها نحوه وأعطت تعليمات للولاة والشرطة في الأقاليم لاعتقاله حيثما وجد[23].

وبعد تحريات عديدة قامت بها الشرطة التونسية تبين لها وصوله إلى نفزاوة بصحبة أربعة أشخاص قادما إليها من طرابلس، واتصاله بابن شهرة وإبراهيم بن عبد القادر وتوجهه معهما إلى ناحية سوف، وكدلالة على نية محي الدين في العمل العسكري اكتشفت السلطات الفرنسية قافلة من أهل سوف متجهة إلى الجزائر تحمل كمية من البارود تزن 63 رطلا فصادرتها منهم.

وحسب رواية أخرى ليحي بوعزيز فإن محي الدين قدم إلى منطقة الحدود ونفزاوة في مطلع عام 1871[24]، واجتمع حوله عدد هائل من قدماء الثوار والمقاومين الجزائريين اللاجئين في تونس وطرابلس، وشرعوا جميعا في وضع الخطط لتنظيم حركة المقاومة والجهاد

ضد المحتلين الغاصبين، وكان من بين هؤلاء الثوار[25] بن ناصر بن شهرة، هذا إلى جانب الشيخ الميزوني شيخ زاوية الكاف الذي زوّد محي الدين بكاتب خاص ليحرر له الرسائل إلى الناس في مختلف الأنحاء.

ومن ثمة بدأ التنسيق بينه وبين بن شهرة لمواجهة الفرنسيين، ومن بين الخطوات الأولى التي قاما بها هي التحضير والاستعداد لهذه الثورة، عن طريق جمع الأسلحة والمئونة وتجنيد الأنصار من حولهما، وبهذا الخصوص تبرز لنا شخصية بن شهرة من خلال الدور الإعلامي الكبير في هذه الثورة، وهذا ما نلمسه من خلال العنصر الموالي:

4-مساهمة بن ناصر بن شهرة في ثورة الأمير محي الدين بالشرق الجزائري:

1-الدعاية الإعلامية عن طريق كتابة المناشير والرسائل:

تُفيد شهادة "لويس رين" حول قدوم محي الدين إلى الجزائر ووقوف بن ناصر بن شهرة إلى جانبه في الأيام الأولى التي وصل فيها إلى تونس، ويمكننا تتبع أخبار هذه الثورة من خلال المخبرين الجزائريين المندسين في صفوف اللاجئين الجزائريين بتونس، من خلال مجموعة من الرسائل التي أرسلوها إلى ممثليهم وأسيادهم الفرنسيين بالجزائر، وهذا ما نقف عليه في ما يلي:

في مُوفى شهر ديسمبر ومستهل شهر جانفي 1871 يقول "لويس رين" توصلنا بأخبار قادمة من الجنوب الشرقي الجزائري تُنذر بخطر وشيك الوقوع، ثم أصبح الأهالي بعد سماعها متحمسين لنشرها وتضخيمها، فأصبح الناس يتحدثون في قسنطينة عن تلك الاستعدادات الحثيثة التي تُدبر ضدنا من طرف محي الدين ابن الأمير عبد القادر. وبخصوص هذه النقطة يذكر أبو القاسم سعد الله أن صدى الأمير محي الدين قد سبقه إلى المنطقة، من خلال الشعار الذي رفعه الشعب بعد تمرد جنود الصبايحة الجزائريين على الفرنسيين في نفس الشهر، وقتلهم للعديد من الضباط الفرنسيين، ومن بين الشعارات

التي رددوها : إن باريس قد سقطت في يد البروسيين وإن محي الدين (ابن الأمير عبد القادر) سيأتي من نفطة...إن الجزائر ستثور كلها وأن هذه فرصة فذة لطرد الفرنسيين[26].

ويشير "رين" إلى أن مصدر هذه المعلومات التي توصل بها ما بين 3-4 جانفي 1871 قد وردت من شيخ زاوية نفطة بتونس، سي الحسين بن علي بن عثمان إلى القائد الفرنسي الأعلى ببسكرة، يخبره فيها -مع كل أسف-، بوجود سي محي الدين في نفطة قادما إليها من توزر، ويذكر "رين" أن هذا الشيخ أمدهم ببعض التفاصيل حول الشخصيات الرئيسية[27] التي اجتمعت إليه والتفت حوله ويشير هنا إلى شخصية بن ناصر بن شهرة[28]، لِمَا تُشكّله من خطر كبير على الفرنسيين، نظرا لماضيه الثوري والبطولي المتميز في منطقة الصحراء الشرقية، ومما ذكره يحي بوعزيز حول مساهمة بن شهرة في تمهيد السبيل للأمير محي الدين بعد وصوله إلى تونس: «وهو الذي مهّد الطريق والسبيل لمحي الدين بن الأمير عبد القادر عندما قدم إلى منطقة الحدود أوائل عام 1871»[29].

وبعد أن يستعرض رين هذه الأخبار ينتقل إلى تحديد شخصيات أخرى التفت حول محي الدين، هذا إلى جانب بن ناصر شهرة، ويتعلق الأمر هنا بكل من: بوعلاق وأبناء الطيب بن عمران مع آل عقبة وآل حمامة، كما يحاول أن يبرز لنا موقِع بن شهرة من هذه الأحداث، حيث أشار إلى أن بن شهرة في هذه المرحلة كان منشغلا بالتنظيم والتخطيط للثورة في وسط اللاجئين الجزائريين بتونس.

وفي نفس الوقت كان بن شهرة يقوم بإيفاد المبعوثين وكتابة الرسائل والمناشير إلى كافة جهات الصحراء الشرقية بالجزائر، رسائل صُنفت إلى صنفين: صنف حمل بعضها توقيعات أشخاص مجهولين، والصنف الثاني من الرسائل كان يصدر مثنى مثنى عن محي الدين تارة وعن بن شهرة تارة أخرى، وهي عبارة عن نداءات مباشرة لرؤساء الأهالي والسكان[30].

ومن خلال شهادة "لويس رين" يتبين لنا أن شيخ زاوية نفطة لم يكن الوحيد الذي أخبر الفرنسيين بقدوم محي الدين ووشي بالعناصر التي كانت ترافقه، بل هناك مُخبرين آخرين من بينهم:

1. رسالة بوحفص بن منصور –بمنطقة الجريد– التي أرسلها إلى قايد منطقة الزاب الشرقي، سي ميهوب بن شنوف، ومما جاء فيها: «إني أحيطكم علما بأن نائب ملك مصر عباس باشا بصدد التحرك على رأس 6.000 من الأتراك بغية الاستيلاء على تونس، وللتعتيم والتغطية على مشاريعه هذه لجأ لإطلاق شائعات مفادها أن هذا الجيش سيشن عمليات في الجزائر».
2. رسالة قائد بسكرة محمد الصغير بن قانة إلى الفرنسيين، التي يخبرهم فيها بتحركات محي الدين، وهذا بعدما وردت عليه أخبار من مرؤوسه السابق سي محمد مرزوق بن سيدي صالح رفيق محي الدين!!، يُبين له من خلالها انضمام بن ناصر بن شهرة إلى محي الدين، ومما جاء فيها: «إن سيدنا محي الدين نجل الأمير عبد القادر قد حل للتو عند الناصر بن شهرة بغرض إعلان الجهاد، ولقد جهز سلطان اسطنبول جيشا للاستيلاء على طرابلس، كما جعل مقاطعتي الجزائر وتونس تحت إمرة إسماعيل باشا، نائب ملك مصر...وبمجرد أن أتوصل إلى اتفاق مع سي محي الدين، سوف أمدكم بما يستجد من أخبار بهذا

الخصوص»[31]!؟. وعلى اثر هذه المراسلة أخبر قائد بسكرة الفرنسيين بتحركات محي الدين والخطر الذي بات يهددهم.

3. رسالة سي الميهوب بن شنوف إلى لويس رين بعدما وصلته مجموعة من الرسائل كتبها كل من محي الدين، وبن شهرة ظنا منهما أنه سيقف إلى جانبهما، فبدلا من حمل راية الجهاد والوقوف معهما، قام بن شنوف بتقديم هذه الرسائل إلى الفرنسيين، ويذكر رين حوالي 11رسالة يحمل بعضها ختم سي محي الدين والأخرى ختم بن شهرة، وتشير هذه الرسائل إلى الشخصيات التي راسلها كل من محي الدين وبن شهرة في منطقة الجنوب الشرقي الجزائري، ومن بين هذه الشخصيات: مرابط تيماسين، وسي علي باي، وآغا تقرت وورقلة، وإلى رؤساء وأعيان آل ترود (طرود) بوادي سوف.

4. رسائل أخرى توصل بها لويس رين من رؤساء الأهالي والتي قدّرها بحوالي 44 رسالة، وفي نفس الوقت يشير رين إلى أن هناك رسائل كثيرة أخرى كتبها محي الدين وبن ناصر بن شهرة، وهي موجهة إلى الأغواط وإلى الشريف بوشوشة والمخادمة والشعانبة وآل سعيد عتبة بورقلة، ويؤكد رين مرة أخرى على الطابع الثنائي الذي كانت تُرسل به هذه الرسائل (مثنى مثنى) إحداها من الناصر بن شهرة الذي قدّم نفسه بأنه ممثل لمحي الدين ويؤكد فيها على وفائه وإخلاصه له، والثانية من محي الدين نفسه[32]، كما يهدد فيها في نفس الوقت من لم يقف إلى

جانبه ويقدم له يد المساعدة[33]، ويذكر بوقرين أن هذه الرسائل متشابهة في القول والأسلوب ويظهر أنها أمليت على كتاب عديدين[34].

وبعد أن يستعرض "رين" دور المخبرين والرسائل التي بعثوها إلى الفرنسيين ينتقل إلى تقديم نماذج من الرسائل التي كان يبعث بها كل من بن شهرة ومحي الدين إلى الأنصار والأتباع، فالنموذج الأول هو مترجم من إحدى الرسائل الواردة من بن شهرة تحمل في أعلاها الختم المربع المعروف في أنحاء الصحراء، ومما جاء في هذا النموذج: «جاءنا سيدي محي الدين ابن الأمير الحاج عبد القادر إلى هنا، بأمر من السلطان أعزه الله، وهدفه هو تجديد الملة والدين، وسيذهب إن شاء الله إلى مدينة الجزائر للالتحاق بوالده الذي يحتاج إليه (الذي ينتظره) لقد وصل طابور السلطان إلى طرابلس، فإذا كنتم على استعداد لملاقاتنا (إن كنتم حريصين على مصادقته) فأرسلوا إليه مبعوثا عنكم، وإلا فلا تلوموا إلا أنفسكم فيا سيحدث (سوف يكمل الساعي بقية المعلومات شفهيا) حررت بقلم الأمير الناصر بن شهرة، تحياتي» بتاريخ السادس من شوال 1287هـ[35].

أما النموذج الثاني فهو لرسالة من محي الدين، تحمل في أعلاها ختما دائريا كبيرا، وقد صيغت كما يلي: «(الختم) لا حول ولا قوة إلا بالله العلي القدير، من الراجي رحمة الله، محي الدين ابن الأمير عبد القادر 1287هـ: جئنا إلى هنا لتمجيد الدين الإسلامي وحماية البلاد، إننا نعلم أنكم ترغبون في الجهاد (وباسم الدين نجد فيكم الصديق والحليف الوفي) ولقد هزم الله أعدائنا ولم يبق لهم من شيء: لا أرض ولا جيش، فكونوا على استعداد ليوم تواجدنا بينكم، وأنتم تعلمون حق العلم أن الله يأمر المؤمنين بالقتال إلاّ من به عاهة، وأن الجهاد واجب على كل رجل قادر، أعني الجهاد بالأنفس

والأموال، فأعدوا العدة إذن لنصرة الدين (أعلم أن تلك هي نيتكم دائما وأنكم لن تتقاعسوا عن أداء الواجب) إن يوم الزحف لقريب، وإن موعد تحركم لوشيك، فكونوا على أهبة الاستعداد، إليكم تحياتي[36].

وُجّهت هذه الرسائل إلى مجموعة من الأعيان وأبناء القبائل، قبيلة قبيلة، وبأسمائهم فلان فلان، وجل هذه الرسائل كانت تُذيل بعبارة سوف يكمل باقي مضمون هذه الرسائل شفهيا من طرف المبعوثين، مما نفهم بأن هذه الرسائل أرفقت فيما بعد بمبعوثين إلى نفس هذه الجماعات والقبائل لشرح مضمونها وتحفيز الناس على الجهاد، وفعلا تم استكمال مضمون هذه الرسائل شفهيا من طرف المبعوثين مما ترك أثرا عظيما في قلوب الأهالي[37].

أما الذين وُجهت لهم رسائل محي الدين وبن شهرة، ولم يرد ذكرهم في تقارير المخبرين الجزائريين إلى السلطات الفرنسية: رسالة موجهة إلى بومزراق المقراني يخبره فيها بأنه في تبسة وهو قادم بجنوده إلى قسنطينة، ومما جاء في هذه الرسالة التي وجهها لجماعة الشرفة: «وبلغنا جواب من عند ولد السّيد الحاج عبد القادر أنّه في تبسة قاصد بجنده قسنطينة»[38].

لقيت هذه الرسائل استجابة كبيرة وواسعة من طرف الثّوار وقبائل الناحية، خاصة قبائل الأرباع التي التحقت بصفوف الثوار، هذا إلى جانب كثير من الشخصيات الثورية مثل: سي محمد زروق بن سيدي صالح أحد أشراف بسكرة، أحد أبطال ثورة الزعاطشة، وإبراهيم بن عبد الله مقدم الطريقة القادرية، أحد أبطال ثورة 1864، وسي

سليمان سلطان تقرت سابقا[39]، وبناء على هذه التعبئة الإعلامية والعسكرية انطلقت ثورة محي الدين عبر الإقليم الشرقي الجزائري، في ظل مساعدة الجماعات والشخصيات الدينية التي تحدثنا عنها.

2-انطلاق الثورة ومساهمة بن ناصر بن شهرة في العمليات العسكرية:

تذكر المرجعيات التاريخية التي عدنا إليها أنّه في أواخر شهر فيفري انضمت إلى محي الدين عدة فصائل من قبيلتي البرارشة والعلاونة، وقد وصل في تحركه إلى مشارف نقرين التي سبق وأن تعاهدت معه ورحبت به، بل نادت به سلطانا عليها، ومن بين القبائل التي لم تبايعه على الجِهاد فركان، فتعرضت للنهب والسلب من طرف العلاونة، فاضطرت حينها للاذعان والخضوع له، كما تلقى عدة خطابات من وادي ريغ تتطلب منه التوجه إلى الصحراء، (ولكن لا طائل من وراء توجهه إلى تلك الجهات بالنسبة للعميل الروسي –جيرارد–الذي يدفع له ويشير إليه) ونظرا لنصائح هذا العميل الروسي، وفي ظل دعم السكان له قرر الزحف على الشريعة وتبسة لطرد الفرنسيين منها[40].

ومن بين القبائل التي ناصرته بهذه النواحي: أولاد خليفة من قبيلة أولاد سيدي عبيد في نواحي تبسة، هؤلاء الذين أشهروا سلاح الانتفاضة في وجه النقيب "مارشاند" بجبل الرفانة[41].

وعلى الرغم من الدعاية الكاذبة التي حاولت فرنسا نشرها والتستر ورائها، من خلال التقليل من نشاط محي الدين، فإن فتيل الثورة قد اشتعل بشكل متسارع جدا، والشاهد في ذلك ما ذكره بوقرين: «ففي هذا الوقت كان بوشوشة على رأس جيش

عظيم من الشعانبة وطرود سوف، واجتمع في الصحراء أولاد سيدي الشيخ بزعامة سي الزبير، وثوار الصحراء الشرقية بزعامة ابن ناصر ابن شهرة والأمير محي الدين ابن الأمير عبد القادر، وفي نفس الوقت كانت الثورة في الشمال قد أشعل فتيلها الحاج محمد المقراني والشيخ الحداد، فاستولى الأمير محي الدين على نقرين وتبسة، واستولى ابن ناصر ابن شهرة على تقرت وورقلة، وانتشرت الثورة من الساحل وفي الجبال إلى أعناق الصحراء، وتحمس الناس للجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن»[42].

وعلى اثر ذلك تمردت قبيلة النمامشة وأولاد سيدي عبيد من حلف الشيخ خريف بن محمد، ومجموعة أولاد الرشايش والبرارشة والعلاونة، فاستولوا على القطعان وراحوا يجوبون الأرياف طولا وعرضا بحثا عن تجنيد أكبر عدد من المناصرين في صفوفهم، وتوجه وفد كبير منهم لملاقاة محي الدين الذي كان حينها في طريقه إلى نقرين التي وصلها في 09 مارس، وبعد بضعة أيام أقام معسكره في سكرانة (موضع بين نقرين وفركان)، ومن هناك توجه نحو الشريعة وجبل الدخان حيث كانت تتمركز وحدات المتمردين حسب تعبير لويس رين[43].

وقبل انطلاق العمليات والتحركات السابقة –قبل08 مارس– بدأ المستوطنون يلوذون بالمدينة، ثم أغلقت أبواب تبسة وتمت محاصرتها، بينما تم تخريب الضواحي وغادرها الأوربيون القاطنين في حلوفة ملتجئين إلى خان القوافل في مسكيانة، وانتشرت الأخبار في كل مكان معلنة وصول محي الدين على رأس جيوشه[44].

وفي اليوم الموالي 09 مارس دخل إلى نقرين، ووفد عليه هناك وفد من أولاد خليفة الثائرين بالشريعة، فاتجه معهم إلى سكرانة ثم إلى الشريعة وجبل الدكان، وشعر

المعمرون الأوربيون بالخطر فتحصنوا بمدينة تبسة، وأغلقوا أبوابها والتجأ معمرو حلوفة الأوربيون إلى مسكيانة[45].

وفي اليوم 26 مارس وقعت معركة كبيرة بينه وبين قوات الجنرال بوجي في واد الحميمة، معركة تفوّق فيها الفرنسيون واضطر محي الدين إلى الانسحاب داخل الحدود التونسية، والشاهد في ذلك ما جاء في رسالة محمد قعيد بن سالم إلى الوزير خير الدين التونسي: ولد سي الحاج عبد القادر لأنه أتى (كذا) من ناحية الصحراء ومعه لفيف كثير من النمامشة وغيرهم من أهل الصحراء، فلما حل بقرب تبسة التقا (كذا) هو والمحلة المذكورة وصار بينهم حرب يوم الأحد وماتت بينهم الرقاب ووقع العكس على ولد سي الحاج عبد القادر ورجع فارا إلى طرف بلاد النمامشة، رسالة مؤرخة في 08 محرم الحرام 1288هـ/ 30 مارس1871[46].

لم تحدثنا المرجعيات التاريخية التي عدنا إليها عن مصير محي الدين بعد انسحابه إلى الأراضي التونسية، ولا بالمسار الذي سلكه في طريق عودته إلى المشرق، بل تكتفي بالإشارة إلى ظهوره بمنطقة صيدا ببيروت واستقراره فيها لمدة سنة كاملة، ويذكر يحي بوعزيز أن الأمير عبد القادر رفض استقبال ابنه وطرد عائلته المقيمة معه بدمشق، لكن تدخل بعض الصلحاء وأصدقائه مثل والد عادل الصلح، والحاج محي الدين الجوهري، ووكيل قنصل فرنسا بدمشق يكون قد عفا عنه، والشاهد في ذلك الرسالة التي وجهها إلى وكيل قنصل فرنسا برتراند بدمشق حول العفو عن ابنه محي الدين، رسالة مؤرخة في 15 شعبان 1288هـ/ نوفمبر 1871[47] وهي التي عاد بموجبها إلى مدينة دمشق.

أما بالنسبة لمصير بن ناصر بن شهرة، فإنه استغل انتشار ثورة المقراني إلى الجنوب الجزائري، وراح يعمل على دعمها ومساندتها، حتى ألقي القبض على بومزراق المقراني يوم 20 جانفي 1872، وكان حضور بن شهرة في هذه الأثناء من خلال قيادته للمقرانيين من عين الطيبة في أعماق الصحراء إلى داخل البلاد التونسية، واستمر حسب يحي بوعزيز في مناوشته للفرنسيين من الجريد ونفزاوة، مما دفع بالفرنسيين إلى إرغام الباي التونسي على إلقاء القبض عليه واعتقاله، ورغم ذلك لم يطمئن الجانب الفرنسي لسلوك الباي فأجبروه على ضرورة نفي بن شهرة من تونس نهائيا، وهو ما تم فعلا حيث أجبره على الخروج من تونس بحرا رفقة الشيخ محمد الكبلوتي، يوم 02 جوان 1875، عبر باخرة كانت راسية بميناء حلق الواد، وهي الباخرة التي أقلتهما نحو مدينة بيروت[48].

موقف السلطات الفرنسية من ثورة محي الدين ومساهمة بن ناصر بن شهرة:

يقول "رين" في بداية ظهور محي الدين: لم نكن نصدق خبر وجود محي الدين في الجزائر بل كنا نتهم مكاتب العرب بنشر أخبار مزيفة وبالتحريض على الانتفاضة، لأن ثقتنا في الأهالي كانت مطلقة[49]، وفي حقيقة الأمر فإن السلطات الفرنسية ومن غير المستبعد أنها كانت تجهل وصول محي الدين إلى الجزائر، ولذلك راحت تكذب الخبر من خلال ادعائها بأن هناك شخصية أخرى تقمصت شخصية محي الدين.

وهذا كله من أجل التشويش على ثورة محي الدين ومساعده بن ناصر بن شهرة التي تعرف قيمته ومكانته بين قبائل الصحراء الشرقية، رغم لجوءه إلى تونس. لكن رين سرعان ما غير رأيه وتبين له بعد توصله بالرسائل من المخبرين الجزائريين بدخول محي الدين فعلا إلى الأراضي الجزائرية، وما ذكره بهذا الخصوص: في هذه الأثناء تواصلت أعمال التحريض والتشهير من طرف محي الدين مما ساهم بقدر كبير في زيادة المخاوف

وإثارة الفوضى محليا، ثم تأكدت المخاوف التي كانت قائمة بخصوص عدم قدرتنا واتضح أن في الإمكان سحقنا[50]. ومن بين الإجراءات التي قامت بها السلطات الفرنسية في هذا الشأن:

أ–توظيف الأمير عبد القادر:

قامت السلطات الفرنسية بالترويج لعدة رسائل على أساس أنها صادرة عن الأمير عبد القادر يُدين فيها عمل ابنه محي الدين، وأنه ولد عاق، عن طريق الاتصال بالقنصل الفرنسي في دمشق، الذي كلفته بالاتصال بالأمير عبد القادر، لكي يتدخل في الأمر، وتذكر بعض المرجعيات أن دهشة الأمير كانت كبيرة جدا، عندما علم بوجود ابنه بالجزائر ومن دون علمه.

ولذلك كتب حسب هذه المرجعيات مجموعة من الرسائل تصب كلها في إجهاض مشروع هذه الثورة التي تزعمها محي الدين، ومن غير المستبعد في رأينا أن تكون هذه الرسائل مزوّرة عن الأمير عبد القادر، أو ربما مدسوسة عنه، وسنحاول التحقق من هذا الموضوع الذي يدخل ضمن مجال اهتمامنا في وقت لاحق، ومن بين هذه الرسائل التي كتبها الأمير في هذا الشأن حسب ما ادّعاه الطرف الفرنسي[51]:

1. رسالة إلى حكومة بوردو تنصل فيها من المؤامرة التي تحاك في نفطة، ثم نسب الرسالة المعنية لشخص آخر مزيف انتحل لنفسه اسم محي الدين، مؤرخة في 11 أفريل 15،1871 محرم 1288هـ
2. رسالة إلى بيرتراند مدير قنصلية فرنسا بدمشق المؤرخة في 1871/04/09 /15محرم 1288هـ.

3. رسالة إلى أعضاء حكومة باردو، استنكر فيها استغلال اسمه لإثارة سكان الصحراء.
4. رسالة إلى قنصل فرنسا بطرابلس الغرب طلب منه العمل على إعادة ابنه.
5. رسالة إلى القائم بأعمال القنصلية الفرنسية بدمشق.
6. رسالة إلى ابن عمه قاضي معسكر الطيب بن المختار طلب من أن يحذر الناس من إتباعه.
7. نداء وجهه إلى سكان الجزائر حذرهم من مغبة الوقوف إلى جانب ابنه الذي وصفه بالشّقي.

من خلال قراءتنا لهاته الرسائل وردود الفعل حولها من هذا الجانب أو ذاك، وجدنا أنفسنا نعيش في دوامة من الجدل العقيم الذي لا يسمن ولا يغن من جوع، خصوصا إذا تعلق الأمر بشخصية الأمير عبد القادر، ومواقفه من بعض القضايا المصيرية، ومن بين هذه المواقف موقفه من ثورة ابنه محي الدين، حيث يذهب يحي بوعزيز إلى أن الأمير غضب من موقف ابنه الذي التحق بالثوار بمنطقة الجريد التونسي من غير علمه ومشورته، وعليه فلم يتردد في مراسلة قناصل فرنسا في كل من دمشق وطرابلس وتونس، طالبا منهم أن يعيدوا ابنه إلى المشرق، وراسل في هذا الشأن ابن عمه في معسكر ليحث الناس على مقاطعته، و قد ذهب في موقفه هذا إلى حد التبرؤ من عمل ابنه. ومن بين المبررات التي قدمها هو العطف الأبوي أو الخوف من المصير المجهول لابنه، ولا حتى بتقيده الحرفي بالعهود التي أخذها الأمير على نفسه في تعامله مع الفرنسيين[52].

وفي رواية لناصر الدين سعيدوني الذي يخالف رأي بوعزيز يرى أن هذا الموقف يندرج ضمن نهج رسمه الأمير عبد القادر لنفسه، وخطة التزم بها لصالح المسلمين انتظارا لتطور الأوضاع وتغير الظروف، فمصلحة المسلمين هي التي تحكمت في موقفه هذا[53].

أما بخصوص موقف عبد القادر بوطالب، فهو يرى أن مؤرخي الاستعمار قد أسهبوا في الحديث عن موقف الأمير من ثورة 1871، فقدموا وثائق مزورة ومتناقضة...وقد نشرت السلطة الاستعمارية الكثير من المخططات والوثائق المزورة لتحاول أن تبين بأن الأمير قد تبرأ من ابنه إلا أن كل هذه الوثائق لا يمكنها الصمود أمام الفحص...ثم يتساءل كيف يمكن أن نقبل أو حتى نتصور أنه في تلك الفترة حيث كان الاحترام الواجب تجاه الأب واجبا دينيا ولم يكن له أي استثناء خاصة إذا تعلق الأمر بعائلة كبيرة وشريفة، يمكن لمحي الدين (الذي وصى له الأمير هو وأخيه محمد بميراثه) أن يسافر دون موافقة أبيه، بل على العكس فمن المؤكد أن الأمير الذي لم يكن يستطيع أن يشارك بنفسه في الانتفاضة قد بعث بابنه ليمثله وهو ما يمثل في نظره مواقفه على الجهاد الذي كان من أشهر وأول أبطاله[54].

وفي موقع آخر يشير بوطالب إلى موقف "Michel Habart" حول هذه المسألة التي اعتبر من خلالها أن رسائل الأمير التي كتبها في تاريخ 3 جانفي 1871، و9 و11 أفريل 1871 ليندد بها بالانتفاضة ودجاليها، هي رسائل مزورة نظرا للأخطاء الإملائية والنحوية التي تحتويها[55]. بينما يبرر "لويس رين" موقف الأمير هذا بخوفه من فقدان المعاش الذي كانت تمنحه له فرنسا، ويعلق بوطالب على هذا الطرح بقوله: يمكن

أن نفكر في ذلك لو أننا لا نعرف مدى تشبع الأمير بمعاني الشرف والعزة والكرامة، ولو كان هذا المعاش الذي تمنحه له فرنسا إكرامية وتعبيرا عن سخاء الغالب تجاه المغلوب[56].

ومن جهتنا نرى أن طرح "لويس رين" بعيدا نوعا ما عن الموضوعية، فالأمير عبد القادر لم يكن بحاجة لا إلى فرنسا ولا إلى راتبها، فما نعلمه بالضرورة عن ممتلكات الأمير في بروسة وفي بلاد الشام، وعن إنفاقه على الفقراء والمساكين من عائدات هذه المزارع لخير دليل على ذلك، ألم يقيم في بروسة أثناء حفل اختتان أبنائه بختان ما يقارب 500 فقيرا من ماله الخاص[57]؟ ألم يذكر لنا ابنه محمد في تحفته ممتلكات والده في مدينة دمشق التي تعد بالهكتارات[58]؟ فالخوف إذن من ضياع الراتب ليس له ما يبرره. وقد تكشف لنا الوثائق التي لا تزال حبيسة عند أفراد عائلة الأمير وفي دور الأرشيف كثير من الحقائق التي لا تزال غامضة.

ب–الضغط على الباي التونسي:

بعدما تأكد للفرنسيين الخطر الذي بات يشكله محي الدين ومعاونه بن شهرة، قامت الدبلوماسية الفرنسية عن طريق قنصلها بتونس بالتدخل فورا لدى الباي للتضييق على محي الدين والسعي في إلقاء القبض عليه، وتسليمه للسلطات الفرنسية بالجزائر، وهذا يذكرنا بنفس الموقف الذي تبنّته مع السلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام في موقفه من الأمير في السنوات الأخيرة من عمر مقاومته. وعليه تحركت السلطات التونسية لتنفيذ هذه الإملاءات الفرنسية، ومن بين الخطوات التي قامت بها في هذا الشأن:

1. أصدرت تعليماتها إلى كل ولاتها في منطقة الحدود بتتبع أخباره والعمل على اعتقاله.

2. طلبت من ولاتها في الناحية الشرقية أن يراقبوا الموانئ ويلقوا القبض على كل الغرباء الذي يفدون بحرا في اتجاه الجزائر.
3. استقطاب عدد هائل من المخبرين الذين وافوها بتحركات كل من محي الدين، وبن ناصر بن شهرة، ومن بين هذه الرسائل التي وجهت إلى الحكومة التونسية[59]: الرسالة المؤرخة في 14 شوال 1287هـ/ 07 جانفي 1871م التي تفيد بقدومه من طرابلس إلى جهة نفزاوة بقصد الدخول إلى الجزائر بصحبة ابن ناصر بن شهرة، والرسالة المؤرخة في ذو الحجة 1287هـ /مارس 1871، الصادرة عن أحمد بن صميدة، والتي تفيد بأن محي الدين نزل بالرقعة ومعه بن شهرة في أناس قْلال إلى أن آتاه علي باي متاع سوف ففر من منزله ونزل بنفزاوة والآن بها.[60]

أسباب فشل الثورة:

1. الرسائل التي بعثها الأمير عبد القادر أثارت هذه الرسائل ضجة كبيرة ساهمت في إضعاف حركة ابنه ومعنوياته وإخفاقه فيما كان طمح إليه[61].
2. ضغط الحكومة التونسية التي أصدرت تعليماتها بمراقبة تحركاته وإلقاء القبض عليه.
3. كثرة المخبرين والجواسيس الذي تابعوا تحركات محي الدين وبن شهرة وقدموها بالتفصيل الممل للفرنسيين، مما ساعدهم على تتبع خطواته والحد من نشاطاته.
4. وقع السياسة الاستعمارية الشديد والعنيف تجاه السكان والقبائل والأعراش التي دعمت محي الدين.

❖ **مسار الأمير محي الدين باشا والقائد بن ناصر بن شهرة بعد فشل الثورة:**

نظرا لأن وفاة بن شهرة كانت سنة 1884، ووفاة محي الدين كانت سنة 1918، فإننا فضّلنا التطرق في البداية إلى مسار بن شهرة، ثم يليه مسار محي الدين.

لم تطمئن السلطات الفرنسية لبقاء بن شهرة بتونس، ولإبعاد خطره نهائيا تدخلت مرة أخرى لدى الباي التونسي بطرده من الأراضي التونسية، ونظرا لهذه الضغوطات استجاب الباي التونسي وقرر نفي بن شهرة من تونس، وهذا ما نلمسه من خلال الشاهد التالي: «أرغمه باي تونس على الرحيل، فركب الباخرة مع الشيخ محمد الكبلوتي يوم 02 جوان 1875 من حلق الوادي إلى مدينة صيدا بلبنان، واستقر إلى جانب محي الدين بعض الوقت، ثم التحق بالأمير عبد القادر بدمشق، حيث استقر بها إلى غاية وفاته سنة 1884»[62]، ومن غير المستبعد وقوف الأمير إلى جانب بن شهرة في مسألة إطلاق سراحه هاته[63]، وحتى في تحديد اختيار وجهته نحو بلاد الشام.

ومن دلائل المحبة والتقدير التي كان يكنها له الأمير عبد القادر، وقوفه إلى جانبه لقضاء مصالح له بتونس، المرة الأولى لدى خير الدين التونسي يزكيه في وكالة من أجل تصفية أملاكه التي خلفها بتونس، فأجاب طلبه[64]، والمرة الثانية لدى مصطفى بن إسماعيل في قضية أخرى من قضاياه العالقة بتونس[65].

أما الأمير محي الدين فبعد خروجه من تونس توجه مباشرة إلى مدينة صيدا بلبنان حيث مكث مدة من الزمن، لأن والده كما سبق لم يستقبله، إلا بعد وساطات

من بعض الشيوخ والمصلحين، وعلى أثرها عاد من جديد إلى مدينة دمشق، وظل بجانب والده إلى غاية وفاته سنة 1883.

وبعد وفاة والده، حاولت فرنسا كسب ولاء الأمير محي الدين، من خلال منحه راتبا شهريا على غرار ما كانت تمنحه لوالده، في مقابل أن يكون هو وإخوته من رعايا فرنسا، فامتنع عن ذلك، بينما قبل الولاء للسلطان العثماني عبد الحميد الذي منحه بدوره راتبا شهريا قدر بخمسين ليرة عثمانية، أي ما يساوي 1000فرنك فرنسي[66]، وعلى اثر هذا العرض انتقل إلى الآستانة سنة 1305هـ، فأكرمه السلطان العثماني ونقله من السلك الملكي إلى السلك العسكري، ومنحه رتبة فريق، ثم عين عضوا في مجلس التفتيش العسكري. وافته المنية في سنة 1336هـ/1918م[67].

ومن بين المناصب التي شغلها:

1. 1292هـ/ 1886م عينه السلطان العثماني في رتبة أمير الأمراء.
2. تم ترقيته في سنة 1303هـ إلى رتبة روملي بيكلر بيكي.
3. عين قائدا للفرقة العسكرية مع الياورية (مساعدا) سنة 1305هـ.
4. في سنة 1888م كلفه السلطان وبمساعدة شقيقه الأمير محمد في إطار سياسة تتريك الجزائريين المقيمين ببلاد الشام، فتوجها إلى بيروت أين قام بتوزيع الألقاب على إخوته وعلى الجزائريين المقيمين بها للغرض نفسه.
5. أرسله السلطان العثماني سفيرا له بمراكش في إطار سياسة التقارب العثماني المغربي.
6. في سنة 1307هـ عين في مجلس التفتيش العسكري.

7. بعد صدور الدستور العثماني الجديد سنة 1908 الذي سمح بموجبه السلطان بتأسيس الجمعيات السياسية، كان لمحي الدين نشاط كبير في هذا الشأن، حيث أسس جمعية الإخاء العربي-العثماني سنة 1908، ورغم سياسة التتريك التي كان يدعو إليها، (ربما في الظاهر) فانه كان يسعى إلى ترقية العرب في الوظائف الحكومية العثمانية، في قطاع التعليم والاقتصاد وحتى ممارسة النشاط السياسي. وخلال الحرب العالمية الأولى وقف محي الدين إلى جانب الدولة العثمانية التي تعرضت إلى الطعن الخلف من طرف الشريف حسين الذي ثار ضدها في سنة 1916، ورغم الهزات العنيفة التي عرفتها الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى وخروجها منهزمة، وفي ظل التجاذبات والخصومات التي وقعت لها من هنا وهناك، فإن محي الدين ظل على وفائه لها إلى أن وافته المنية سنة 1918م.

خاتمة:

1. التأكيد على البعد الوطني والتحرري لثورة الأمير محي الدين بالشرقي الجزائري سنة 1871.
2. مساهمة بن ناصر بن شهرة المتميزة والمتعددة أعطت من دون شك دفع قوي لمحي الدين، ومن غير المستبعد أنه لولا وجود بن شهرة لما تمكن محي الدين من لعب أي دور عسكري بالمنطقة، وربما تمكن العدو الفرنسي من إلقاء القبض عليه، ولهذا فبن شهرة كان له دور محوري ورئيسي في ثورة محي الدين.
3. التأكيد على قابلية سكان الصحراء الجنوبية الشرقية في الاستجابة لنداء الجهاد ضد العدو الفرنسي، بدليل تلك المساهمات الكبيرة التي قدموها لصالح محي الدين وبن شهرة، وهذا يعد في نظرنا مكسب ثمين لم تجد من يحسن استغلالها وتعبئتها للمقاومة المسلحة خلال القرن 19 ومطلع القرن 20.

4. التأكيد على دور المخبرين الجزائريين الذي تجردوا من كل ضمير أخلاقي ومن كل وازع ديني ووطني في سبيل مساعدة فرنسا والوقوف إلى جانبها ضد محي الدين ومن ورائه بن شهرة، ومسألة الولاء للفرنسيين والتعاطي معهم، والتي ساهمت فرنسا في تفعيلها بمختلف الطرق والوسائل المادية والمعنوية لجديرة بتقديم دراسة أكاديمية حولها.
5. نسجل بعض التحفظ على الرسائل التي أرسلها الأمير عبد القادر إلى الفرنسيين بخصوص موقفه من ثورة ابنه محي الدين، رسائل لها احتمالات متعددة: ربما قد تكون صحيحة وقد تكون مزورة أو مدسوسة على الأمير، الذي بات عرضة لكثير من التجاذبات الفكرية والملاسنات اللفظية التي قد تزيد الطين بلة، ومن خلال اهتمامنا بهذا الموضوع وقفنا على كثير من التلفيق والتزوير لكثير من رسائل الأمير عبد القادر، مما يجب توخي الحذر والحيطة في توظيفها في دراساتنا وأبحاثنا الأكاديمية والجامعية.
6. تذبذب موقف الباي التونسي من محي الدين، ففي البداية استقبلته السلطات التونسية الرسمية، ورحبت به، لكنها بسرعة البرق غيرت موقفها منه وباتت تهدده وتسعى لإلقاء القبض عليه، ومرد ذلك لضعف شخصية الباي، وهشاشة منظومة الحكم، وعجزه عن مواجهة الفرنسيين الذي لن يتوانوا في فرض الحماية على تونس سنة 1881.
7. رغم صغر سن محي الدين مقارنة ببن شهرة، ورغم الفروقات في الانتماء الطرقي، المستوى الاجتماعي والثقافي، والتكوين السياسي والعسكري، فإن هذا لم يمنع بن شهرة المقيم في الجزائر من احتضان ومساعدة محي الدين القادم من بلاد الشام، ومن التنازل له عن قيادة الثورة وقبوله بموقع ثانوي خلالها، وهذا التواضع

من بن شهرة هو رسالة واضحة لنا نحن اليوم لنبذ كل الخلافات والفروقات مهما كانت طبيعتها، ووضع اليد في اليد لبناء جزائر الغد.

8. إن التضحية الجسيمة التي قدمها محي الدين في سبيل نصرة بلاده، من خلال هذه التجربة الرائدة لدليل على استمرار طابع الولاء لهذا الوطن مهما بعدت المسافات ومهما طال الزمن، ومهما كثرت التضحيات، وهي رسالة واضحة للذين يشككون في موقف الأمير عبد القادر وأبنائه من قضية بلادهم.

الهوامش:

1-بوقرين، عيسى: انتفاضة ابن ناصر بن شهرة 1851-1875، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص55.

2-نفسه، ص55.

3-يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1400هـ/ 1980م، ص178.

4-بوقرين، عيسى: المرجع السابق، ص57.

5-يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص179.

6-نفسه، ص179.

7-نفسه، ص179.

8-عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1400هـ/ 1980م، ص113.

9-الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: الجذور الخضراء، ط1، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق، 1994، ص223.

10-نفسه، ص223.

11-عبد الرزاق، البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج3، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1963، ص1245.

12-الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: المرجع السابق، ص223.

13-عادل، نويهض: المرجع السابق، ص113

14-يحي، بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، دار البصائر، الجزائر، 2009، 225.

15-نفسه ، ص225.

16-الأميرة بديعة الحسني، الجزائري:المرجع السابق، ص288.

17-عبد الرزاق، البيطار: المصدر السابق، ص1426.

18-يحي، بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص225.

19-نفسه، ص226.

20-نفسه، ص226.

21-يحي، بوعزيز: موضوعات من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص381.

22-بوقرين، عيسى: المرجع السابق، ص104.

23-يحي، بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص227.

24-يحي، بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص264.

25-الشيخ مصطفى بن عزوز مقدم الطريقة الرحمانية، الذي تمكن بعد لجوئه إلى تونس من فتح فرع للزاوية الرحمانية بنفطة، وسليمان بن جلاب آخر سلاطين بني جلاب في تقرت الذي لجأ إلى تونس سنة 1854، وإبراهيم بن عبد الله شيخ الطريقة الجيلالية بورقلة، ومحمد بن علاق زعيم أولاد يعقوب الأغواطيين، والشيخ محمد زروق بن سيدي صالح البسكري، الذي قدم هو وابن هلال (علال) الكاتب السابق للأمير عبد القادر، يراجع: يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ص264.

26-أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ، 1900-1930، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص53.

27-من بين هذه الشخصيات: ابن هلال (علال) كاتب الأمير عبد القادر سابقا، شخص أوربي، سي محمد زروق بن سيدي صالح البسكري، هاجر بعد سقوط الزعاطشة إلى مدينة طرابلس، رافق

محي الدين في دخوله تونس، سي إبراهيم مقدم الأخوان وأحد إتباع عبد القادر الجيلالي، ونظرا لمعارفه وصداقاته الواسعة في ورقلة تم إيفاده بعد أيام من وصوله إلى نفطة، محمد بن الحشاني الذي ينحدر من آل بوعزيز ببسكرة، وهو لاجئ منذ مدة في نفزاوة، الخوجة المدعو سي أحمد من مدينة الكاف، المدعو قهواجي، وهذا وقد أعلن أيضا عن وصول سلمان سلطان تقرت سابقا، ومصطفى بن أحمد الصغير نجل خليفة الأمير عبد القادر في منطقة الزيبان، الذي اشتهر في تونس باسم مصطفى ولد سيدي عقبة. يراجع: لويس رين، ص-ص143-144.

28-لويس، رين: تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2013، ص142.

29-يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص180.

30-لويس، رين: المصدر السابق، ص144.

31-نفسه، ص145.

32-نفسه، ص146.

33-بوقرين، عيسى: المرجع السابق، ص105.

34-نفسه ، ص-ص107-108.

35-لويس، رين: المصدر السابق، 147.

36-نفسه، ص147.

37-نفسه، ص148.

38-يحي، بوعزيز: ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد عام 1871 ويليه مواقف العائلات الأرستقراطية من البشاغا محمد المقراني وثورة عام 1871، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص378.

39-بوقرين، عيسى: المرجع السابق، ص106-107.

40-لويس، رين: المصدر السابق، ص193.

41-نفسه، ص193.

42-بوقرين عيسى: المرجع السابق، ص-ص108-109.

43-لويس، رين: المصدر السابق، ص 194.

44-نفسه، ص194.

45-يحي، بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص233.

46-نفسه، ص234.

47-نفسه، ص254.

48-يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص181.

49-لويس، رين، المصدر السابق، ص148.

50-نفسه، ص150.

51-وردت هذه الرسائل في كتاب المرحوم يحي بوعزيز الموسوم بكفاح الجزائر من خلال الوثائق.

52-يحي، بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص-ص231-232.

53-ناصر الدين، سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، دار بني مزغنة، الجزائر، 2016، ص205.

54-عبد القادر، بوطالب: الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، تقديم الأستاذ أجيرون، منشورات دحلب، الجزائر، 2009، ص244.

55-نفسه، ص245.

56-نفسه، ص245.

57-محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج2، ط2، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1384هـ/1964م، ص591.

58-نفسه، ص618.

59-يحي، بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ، ص232.

60-نفسه، ص233.

61-نفسه، ص232.

62-يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص180.

63-ناصر الدين، سعيدوني: المرجع السابق، ص205.

64-يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص181.

65-نفسه، ص181.

66-عمار، هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2016، ص96.

67-عادل، نويهض: المرجع السابق، ص-ص113-114.